نملة تبحث في محيط

الإنسان ضعيف جدا صغير جدا لا عزة له إلا بطاعة الله عز وجل ولا علم له إلا ما علَّمَهُ الله عز وجل ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .. فلا يستطيع أحد أن يصف ضعف الإنسان أبلغ من ما وصفه به القرآن ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء: ٢٨] .. وهاهو الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى من خلال معايشته للقرآن حتى صارت حياته كلها حكمة استطاع أن يصف الإنسان وصفا بليغا حين قال : (مسكين ابن آدم محتوم الأجل مكتوم الأمل مستور العلل يتكلم بلحم وينظر بشحم ويسمع بعظم أسير جوعه صريع شبعه تؤذيه البقة وتنتنه العرقة وتقتله الشرقة لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشوراً) [أدب الدنيا والدين ص١٠٣] .

لذا فضعف الإنسان يجعله حين يقف أمام أي علم من العلوم المادية يريد أن يبحث فيه فهو أمام بحر عميق ولو كرَّس حياته كلها في هذا الجانب من العلم لن يكتشف إلا القليل القليل لأنه ضعيف .. فما بالك لو وقف أمام علم من العلوم الروحية .. علم من علوم النفس .. بيقين أقول نملة تبحث في محيط .

فالإنسان مهما أوتي من علم فهو مخلوق قاصر في كل شئ .. في تفكيره وفي بحثه وفي علمه ، قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

فالعلم ثلاثة مراحل فمن تعلم الأولى تكبر ومن تعلم الثانية تواضع ومن وصل إلى الدرجة الثالثة علم أنه لا يعلم شيئًا .

فهذا الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ واضع علم أصول الفقه علم استخراج الأحكام واستنباط القواعد الإسلامية ... يقول :

كلما أدبني الدهر أرني نقص عقلي ... كلما ازددت علما ازددت علماً بجهلي

فالذي يعلم أسرار النفوس هو الله تعالى وحده

قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر : ١٩] .

فإذا جئنا بأعلم طبيب في علم النفس وأكبر علماء علوم النفس فلا يستطيع أن يعلم حقيقة شعوري إلا إذا أوضحت له ذلك من قول أو فعل .. وأستطيع أن أخدعه بأن أبدي له الحب وأكن له الكره والعداوة .. فالذي يعلم ذلك هو الله عز وجل وحده لا شريك له .. خالق النفس وبارئها .. فعلمه محيط بكل شئ ، قال تعالى:﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الملك:١٣] ، بل اكثر من ذلك بكثير ،

قال تعالى : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام : ٥٩] ، فعلم الله عز وجل لا حد له فهو عالم بكل شئ ، وقيل أن العالم: الذي لم يستدعي سبق جهل والعارف: فقد استدعي سبق جهل .. لذا يقال على الله تعالى عالم ولا يقال عليه عارف.

فعلم الله تعالى لم يستدعي سبق جهل ولا يعدو عليه نسيان ولا يمكن أن يخالف الواقع وعلمه محيط بالأمس واليوم والغد بالظاهر والباطن بالدنيا والآخرة. (عقيدة المسلم محمد الغزالى)

قال تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد : ٩] .

قال تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الجن: ٢٦] .

فإذا ركن أحد في دراسة نفس الإنسان إلى النظريات والآراء البشرية لن يصل إلا إلى الظن وبعض التجارب البشرية البسيطة أما إذا ركن إلى القرآن وبيانه للإنسان فسوف يصل إلى غايته بنجاح لان الإنسان الضعيف الجاهل الصغير قد لجأ إلى الله القوي العليم الكبير سبحانه وتعالى .

واعلم أن المشاعر جزء لا يتجزأ من روح الإنسان ونفسه ومع ذلك الإنسان لا يعلم شيئا عنها،قال تعالى:﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات:٢١].

لذا حين سُئل إمام المرسلين ﷺ عن الروح .. فكانت إجابة الوحي المعصوم ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

ألم يكن هناك منافقين في المدينة ولا يعلمهم الصحابة برغم ما عرف عنهم من حدة ذكاء وفطنة؟ وأيضًا لم يعرفهم رسول الله ﷺ لولا أن أخبره الوحي بهم .. والسبب أن المنافقين يتلاعبون بالمشاعر بواسطة الكذب والخداع .. لذا فحين أتحدث عن المشاعر والأحاسيس فلابد وأن أكون على يقين أني قاصر وكل ما أفعله ليس سوى توضيح أمور يعلمها كثير من الناس ليس لعلمهم ولكن لأنها تحدث في ذاتهم وداخل نفوسهم يشعرون بها ولكن لم تتاح لهم الفرصة لكي يعبروا عما يدور في داخلها .. فالإنسان في هذه الدنيا لا يعرف حقائق بل يعرف ظواهر.

فالكهرباء تخرج الضوء والحرارة والبرودة ولكن السؤال الأهم **ما الكهرباء ؟** .. فنحن نعرف الكيف ولا نعرف **ما أو ماذا ؟**.

فالغضب شعور بحب الانتقام وقد تؤذي وتقتل وتدمر .. هذه هي ظواهر الغضب وما ينتج عنه ولكن **ما الغضب ؟** .

ما كل شئ معنوي ؟ ولو انصف مؤلفو المعاجم وأصحاب التعريفات لكفو عن ذلك لأنهم لا يصلون إلى حقيقة وإنما يدورون حول أنفسهم ولو دققت النظر في تعريفاتهم لوجدتها تعريف بالمثل لا تعريفا بالحقيقة وكل الذي يعرفه الإنسان لو كان ذكيا أن يوجه سلوكه في الحياة حسب طبائع الأشياء وحقائقها .... وقد تكون معرفة الفن أسهل من معرفة الحقيقة لان الفن عمل ، والعلم فهم ، ونحن على العمل أقدر منا على فهم الحقائق ولذلك سهلت الحياة لأنها فن وصعبت

معرفة الحقائق لأنها علم. (عقيدة المسلم).

الحب هو : الإخلاص والشوق للمحبوب والبذل والعطاء ،ولكن ما الحب ؟.

ما الكـــره ؟ ما الرضـــا ؟..

الإجابة تكون مجموعة من الألفاظ لا تتعدى إلا أن تبين نفس المعني دون أن تبين الحقيقة .. فالإنسان جاهل تمام الجهل في معرفة الحقائق ولكنه له المقدرة على معرفة الظواهر .. فالعلماء أجمع لم يأتوا بحقائق جديدة ولو نظرت نظرة موضعية لوجدت أنهم اكتشفوا فالكهرباء موجودة لم يأتي بها أحد بل خلقها الله عز وجل واستطاع الإنسان اكتشافها بعد مدة من الدراسة والبحث .. كذلك الطائرة فكل مكوناتها موجودة في الأرض وكل ما في الأمر أن الإنسان أكتشف كيف يضع عنصر كذا على عنصر كذا ليتكون شئ معين وان نوع معين من الوقود يجعل هذه المعادن تطير في الهواء .. فالإنسان أكتشف ولم يأتي بجديد ولا يعلم حقيقة شئ في هذا الوجود ..

فالإنسان خلق ولا يعلم حقيقة نفسه المادية أو الروحية فقد يصاب الطبيب بمرض ويعجز عن مداواة نفسه

يقول أبو العتاهية - رحمه الله - :

إن الطبـــيب بـطـبـــه ودوائـــه ... لا يـــسـتـطـيـع دفـع مكروه أتى
مـــا للطبـــيب يموت بالداء الذي ... قد كـان يبـرئ منه فـيـمـا مـضـــى
مـــــات المداوي والمـداوى والـذي ... جلب الدواء وباعـه ومـن اشـتـرى

فإمكانيات الإنسان تؤهله للاستكشاف ولا تؤهله لمعرفة الحقائق .. فمشاعر الإنسان وأحاسيسه لا أقول من الصعب بل أقول من المستحيل أن يستطيع حبر قلم أن يحيط بوصفها.

بحـــر المشاعـــر

يقول الله تعالى : ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الرعد : ١٧] .

المشاعر كلمة صغيرة وتتضمن معاني كبيرة فهي بحار عميقة بها أمواج ودوامات بها آبار .. هذه البحار بها اللآلئ والمرجان والذهب الثمين .. كما أن بها الزبد والغثاء .

للمشاعر أحياء استطاعوا الوصول إلى شاطئ الأمان وللمشاعر ضحايا غرقوا في هذه البحار .

ماذا حدث لمجنون ليلـــى ؟ :

غرق في بحر المشاعر دون أن يشعر لأن مشاعر الحب التي كانت بداخله حركته نحو الجنون ويقال أنه ذهب عقله لأنه لم يستطيع الزواج بليلى ويقال أنه لما علم بوفاة ليلى تدهورت صحته حتى مات من شدة ألمه لفراقه ليلى فوُجد مُلقي ميتا على الأحجار .. وهناك نماذج كثيرة من الحياة فكثير من الرجال من فقدوا عقولهم وأصيبوا بالأمراض النفسية نتيجة الحب أو الكره أو أي إسراف في المشاعر الذي يحدث بعده اصطدام للمشاعر فتتكون العقد في شخصيته التي لا تلبث إلا أن يحدث انفجار داخلي يؤدي إلى فقدان عقله .. أما عنترة بن شداد فمشاعر الحب التي كانت بداخله حركته نحو العمل واستطاع أن يحصل على عدد كبير من حُمُر الإبل لكي يحصل على ما يحب واستطاع أن يمسك الذهب

الثمين والمرجان الموجود بقاع بحر المشاعر فاستطاع أن يوجه طاقة مشاعره نحو العمل النافع لكي يتزوج عبلة .. وكذلك في الحياة نماذج كثيرة من عنترة بن شداد كان يحب رجل امرأة ويريد الزواج بها ثم تصطدم مشاعره فتقوده مشاعره نحو الإيجابية والعمل فيثبت لنفسه أولا ثم للكل أنه يتميز عن الآخرين .. وهناك من اتجه إلى طريق الإدمان والهلاك في أول صدمة تحدث لمشاعره ليغرق ويموت.

فهل أنت مجنون ليلى أم عنترة ؟

أتبكي على فراق الحبيب وتغرق لتصبح جيفة؟ أم أنك لا تثنيك المواقف ؟.

وها هو أحد الشعراء اصطدمت مشاعره من النساء فأنشد قائلاً :

دع ذكرهن فما لهن وفاء ريح الصبا وعهودهن سواء
يكسرن قلبك ثم لا يجبرنه وقلوبهن من الوفاء خلاء

فالمؤمن يسبح في بحار المشاعر ويحصل على الياقوت والمرجان ولا يغرق أبدا لأنه يملك سفينة النجاة وأوكسجين الحياة ـ نعم إنه الإسلام ـ أما ضعيف الإيمان قد يستطيع السباحة ولكن عند أول تيار شديد يكون أحد ضحايا المشاعر فيكون سعيه في الدنيا ضائعا لا قيمة له .. لأن مشاعر اليأس مرض خبيث يصيب الكفار وضُعفاء الإيمان.

❁ اليأس معناه : عدم الإيمان بقدرة الله تعالى وإساءة الظن به وضعف توكل عليه فيتشتت القلب بالقلق والألم ويقتل فيه روح الأمل .. ذكرت في مجلة الوعي الإسلامي العدد ٥١٣ جمادى الأولي ١٤٢٩هـ ـ مايو ٢٠٠٨ م .

أما حين يقرأ المؤمن آيات القرآن الكريم يطمئن قلبه ولا يصاب باليأس أبداً ، قال تعالى : ﴿ **يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ**

﴿ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف : ٨٧] .

فالمؤمن عنده مناعة من هذا المرض مكتسبة من عقيدة قوية ، قال تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴿٧﴾ ﴾ [الطلاق : ٧] .

قال تعالى :﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴿٦﴾ ﴾ [الشرح: ٥] .

فإذا أجتهد إنسان في أمر ما .. كطالب أجتهد في دراسته ولم يقدر له أن ينجح .. في هذه الحالة المؤمن يقول قدر الله ما شاء فعل ويصبر فتعمه سكينة ورحمة وطمأنينة تجعله يواصل حياته في ازدهار مستمر .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة : ١٥٦] .

قال ﷺ : « **عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضَرَّاءُ صبر فكان خيراً له**» [مسلم].

و أعلموا أن المؤمن لا يستوي أبدا مع غيره والسبب أن لكل منهما أصله ومنهجه وغايته وهدفه .. هذه الدنيا ينظر المؤمن لها نظرة مختلفة عن غيره كذلك في الأمور الغيبية يعتقد اعتقاد مختلف بالتالي يختلف العمل فالاختلاف في النظرة والاعتقاد والعمل يؤدي إلى الاختلاف في النهاية والنتيجة .. رجلان نظرا للأسد (الدنيا) الأول ظن أنه أليف وجميل وزينة فاقترب منه وأراد أن يمتلكه ويقبله فأكله الأسد أما الثاني نظر للأسد وعلم أنه شرس غدار فأخذ حذره منه هاربا فنجي .. الأول أعمى ، والثاني بصير .. ولا يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور .. تخيل أن رجلا أعمى يمشي في طريق مظلم به ثعابين ووحوش هل يستوي برجل بصير يمشي في طريق به نور وبه

أشجار وفواكه وخيرات؟ .. الأول حياته تختلف عن حياة الثاني ونهايته تختلف عن نهاية الثاني .

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١)﴾ [الجاثية :٢١].

قال تعالى:﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ(٥٠)﴾[الأنعام: ٥٠].

ولو أن إنسان غير مسلم عمل خير سوف يعود عليه هذا الخير في الدنيا كالسمعة الطيبة وراحة الضمير ولكن يحبط عمله في الآخرة أما المؤمن فيعمل ابتغاء مرضاة الله فيفوز في الدارين .. ولو أن مسلم فعل خير ولم يرد به رضا الله لم يحسب له بل بالعكس يكون حسرة وندامة له يوم القيامة.

قال تعالى:﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)﴾[النساء:١١٤].

يقول الشاعر:

وما لي حيلة إلا رجائي ... لعفوك إن عفوت وحسن ظني
يظن الناس بي خيرا وإني ... لشر الناس إن لم تعف عني

عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**إنما الأعمال بالنيّات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه**) . رواه البخاري و مسلم في صحيحهما

ويقول أ/مصطفى السباعي:

« الرعد الذي لا ماء معه لا ينبت العشب ، كذلك العمل الذي لا إخلاص فيه لا يثمر الخير » ، تأملوا الشهداء أصحاب المشاعر النبيلة أمثال الصحابة الدين

ضحوا بأغلى ما يملكون ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى فازوا فوزا عظيما .. يا من تعقل أقرأ وتفكر وإن شئت أقبل أو أدبر .. فهذا أنس بن النضر رضي الله عنه .. يقول أنس بن مالك رضي الله عنه :

غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر .. فقال يا رسول الله ، غبت أول قتال قاتلت المشركين ، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين ما أصنع .. فلما كان يوم أحد وأنكشف المسلمون ، قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني الصحابة ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ، ثم تقدم فاستقبله سعد ابن معاذ .. فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد ، قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس : فوجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه ، قال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه :

قال تعالى : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣)** ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

رواه البخاري في كتاب الجهاد باب قول الله تعالى : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ** ﴾ .

هذا المثال يدل على صدق المشاعر .. مشاعر الإخلاص لله تعالى وبذل الغالي النفيس لإعلاء كلمته .. هذه المشاعر النبيلة جعلت هذا الصحابي الجليل يضحي بأغلى ما يملك في هذه الحياة .

أيضا صدق المشاعر جعل صحابي جليل مثل عمير بن الحمام الأنصاري يتدفق قلبه بالنبض حبا في البذل والعطاء ابتغاء مرضاة الله عز وجل .

روي أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه في غزوة بدر عندما دنا لمشركون : قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض .. فقال عمير رضي الله عنه : يا رسول الله جنة

عرضها السماوات والأرض ؟! . .

قال : نعم ، قال الصحابي : بَخٍ بَخٍ .

قال رسول الله : ما يحملك على قولك بَخٍ بَخٍ .

قال الصحابي : لا و الله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها .

قال النبي ﷺ : فإنك من أهلها .

فأخرج الصحابي تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة ، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل . رواه مسلم في كتاب الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد .

بعد هذا كيف يحق لمثلي أن يتكلم؟ .....

من الصعب أن أُعَبِّر عن شئ في هذا الموضع أمام هؤلاء الرجال العظماء . . فمشاعري من داخلي تحمل الفخر بأجدادنا المسلمين الأوائل وأيضا تحمل نفسي التساؤل . . **كيف حمل هؤلاء الرجال هذه المشاعر العظيمة ؟.**

الإجابة : الإخلاص لله عز وجل يجعل النفوس عظيمة فيتعب الجسد ليلبي حاجة النفس.

قال المتنبي :

إذا كانت النفوس عظيمة تعبت في مرادها الأجسام

هؤلاء الرجال باعوا دنياهم لإعلاء دينهم . . شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [البقرة: ٧٠] .

فأصبحت أسماؤهم ليست محفورة في عقولنا فحسب لكنها محفورة في صفحات التاريخ بحروف من ذهب .

بعد أن نظرنا إلى هذه المشاعر النبيلة أزدادُ عجبا حين أري في عالمنا الإسلامي

وواقعنا المعاصر نماذج سيئة لبعض الناس يحملون دين الإسلام في شهادات ميلادهم وبطاقتهم وللأسف وجهوا مشاعرهم نحو أهداف بذيئة يندى لها الجبين.

فتاة ألقت بنفسها من أعلى البيت منتحرة .. السبب أن المغني المفضل التي تحبه مات ..... ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ذكرت إحدى الصحف القومية أن شاب قتل أمه والسبب أن فريقه المفضل خسر المباراة وأمه من سوء حظها كانت تشجع الفريق الفائز .. وحكم عليه بالإعدام .. لذا علينا أن نوجه مشاعرنا وجهة صحيحة نحو أهداف صحيحة لنفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة .

نظرة حول المشاعر

بعد التأمل والبحث والاستنتاج توصلت إلى أن المشاعر تحدث نتيجة لتفاعل الروح مع الوسط المحيط من روح ومادة .. فعندما ينظر الإنسان إلى منظر بديع من جبال وسماء زرقاء وانهار فتخرج مشاعر جميلة فالروح تفاعلت مع المادة فانتجت مشاعر البهجة والسرور .. هناك مثل يُقال : ثلاث يذهبن الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن .. فالمشاعر هي مزيج من تفاعلات الأرواح أو الروح والمادة أو مزيج من تفاعل الدنيا بالآخرة .. نعم هذه حقيقة ولا عجب .. ألا تتذكر قصة الرجل الذي قال عنه الرسول أنه من أهل الجنة – الرواية التي رواها أنس بن مالك رضي الله عنه عن الرجل الذي قال عنه النبي ﷺ أنه من أهل الجنة .. وعندما تتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يريد أن يعلم ما حال ذلك الرجل ما الذي جعله أهلا للجنة .. فعلم أنه لا يزيد عن الفرائض بصلاة ليل ولا غيرها غير أنه ينام ولا يحمل في صدره شئ لأحد – فصدق المشاعر هذا المزيج من تفاعل الدنيا والآخرة جعله أهلا للجنة .

فالنفوس لها جوهر ولها معدن ولها ظواهر..

فهناك نفوس عظيمة تستأسد وقت الحاجة وهناك نفوس ضئيلة خسيسة تجبن وتتوارى من الحقيقة لا تستطيع المواجهة ويكفي دلالة على ذلك نفوس اليهود التي حكى عنها القرآن الكريم ﴿ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحشر: ١٤] ، فهذه المشاعر الخبيثة تأصلت في نفوس اليهود حتى أصابت جوهر نفوسهم .. لا يستطيعون العيش بلا كذب ولا خداع ولا يستطيعون العيش بلا غش أو مكر ولا فساد أو قتل .. أما معدن الإنسان يعرف عن طريق

المعاملة بالمال .. فكما أن هناك ذهب وفضة وحديد ونيكل وكروم ونحاس وكذلك الخشب والكربون والفحم .... كذلك النفوس يقول رسول الله ﷺ : (**الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب

وجوهر الإنسان ومعدنه إن كانا خيراً انتجا خيراً وإن كانا شراً انتجا شراً .. فالإنسان يستطيع أن يُصلح جوهره ومعدنه بمدى قربه من الله عز وجل أو بعده عنه فالإسلام جعل العبيد أسياد وازدادوا عبودية لله تعالى وجعل من رعاة الغنم رعاة للبشر .. جعل العربي ذي الغلظة والتعصب لينًا رحيمًا .

ولهذا ينبغي على كل إنسان أن ينظف روحه ومشاعره فكما أنك حين تعود من يوم شاق من السفر والعمل في يوم حار وتختلط بالناس .. في آخر اليوم تجد نفسك تحتاج لأن تغتسل لكي تنظف جسدك من العرق والأتربة العالقة به .. وإذا لم تغتسل ستظل رائحتك كريهة يبغض الآخرون رائحتك .. ولو فرضنا أنك لم تغتسل لمدة شهر أو سَنَة **ماذا سيحدث لك؟ ،وكيف ستكون رائحتك** ؟؟؟؟؟ للأسف الإجابة رائحتها كريها ... فكما أن لجسدك عليك حقا ويلزم تنظيفه باستمرار كذلك الروح تحتاج لهذه النظافة الداخلية من حين لآخر حتى لا تظهر منها رائحة كريهة من كذب وغيبة وسوء ظن و...الخ هذه الرائحة تؤذي صاحبها أولا وتؤذي غيره ثانية ..ألم تسمع قصة الرجلان اللذان يعذبان في قبرهما ويبين الرسول ﷺ عن سبب عذابهما فيقول (**أما الأول فكان لا يستبرأ من بولته**) فهذا لم يهتم بالنظافة الشخصية الجسدية (**وأما الثاني فكان يمشي بين الناس بالنميمة**) وهذا لم يهتم بالنظافة المعنوية الروحية ففاحت رائحة روحه الكريهة على الناس أدت إلى النميمة.. ولكي يتمتع الإنسان بالشفافية الروحية الطفولية البريئة فعليه أن يطهر نفسه من الذنوب ويبتعد عن المعاصي

التي تجعل على قلوب العصاة أتربة مختلطة بعوادم الغيبية والنميمة وسوء الظن وسماع فحش القول وغير ذلك من الأمور .. فحين يعمل الإنسان على تنظيف تلك الأتربة والعوادم من على قلبه بالطاعة ومخالفة الهوى والابتعاد عن المعصية فاز بالمشاعر الجياشة التي تتأثر بالمواقف فلا يتأخر عن أمر بالمعروف أو نهي عن منكر فنصبح خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران : ١١٠] .

ولكي تنمو مشاعرنا بشكل صحيح لابد من توافر قيم ومبادئ ومنطلقات صحيحة منها أن يكون تصورنا عن الحياة أنها مادة وروح وان السلوك عمل ومشاعر وان العلاقات مصالح وأخلاق وان الكمال البشري في الأنبياء والرسل وان من لا يسامح لا يُسامح. (أ . محمد عويس مجلة الوعي الإسلامي . عدد ٥١٣) .

الناس معادن كما أخبر رسول الله ﷺ :

(الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ،خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) صحيح مسلم

❁ ترى نفوس تبكي على ضياع مال أو سلطان أو ولد ولا تبكي على ضياع دين و ضياع أمة .

❁ ترى نفوس تبكي على حال الأمة ولا يتحرك لها ساكن أمام عرض من عوارض الدنيا فهم على يقين أن الدنيا زائلة .

فالواجب أن يعلم المؤمن حقيقة الدنيا ويوجه مشاعره توجيها صحيحًا .

يقول الشاعر:

إنما الدنيا كظل زائل أو كضيف بات ليلا فارتحل
أو كطيف يراه نائم أو كبرق لاح في أفق الأمل

النفوس المؤمنة لا تتعلق بحب الدنيا لأن الدنيا مجرد وسيلة وليست غاية .. والنفوس المؤمنة لا تثنيها المواقف بل هي التي تثني المواقف لتوافقها .

كيف كانت نفوس الصحابة عليهم ﷺ .. وهم مستضعفين في مكة ؟ وكيف أصبحت مكة في أيديهم بل العالم كله ؟.

فالمشاعر والأحاسيس تفاعلات تحدث في نفس الإنسان لها قيمة جليلة إذ بصلاحها تنصلح الأمة وبفسادها تفسد الأمة . .الأحاسيس ليست لعبة في أيدي الأطفال يلعبون بها ثم يلقوها كيفما شاءوا [لا وألف لا] بل هى أساس كل شئ في هذا الوجود وليس لأحد سلطان عليها سوى خالقها سبحانه وتعالى.. لذا فالرسول ﷺ علمنا أن ندعو الله تعالى دائما ونقول:(**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.. اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك**) .

فمن أصعب الأمور على النفس اللعب بالمشاعر والنفوس .. من ذلك نجد أن أحقر صفة هي الكذب لأنها لعب بالمشاعر والأحاسيس .. وفي هذا **تقول عائشة** رضي الله عنها : ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول الله من الكذب ، ولقد كان رسول الله ﷺ يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل .

وقال موسى عليه السلام : يا رب أي عبادك خير عملاً ؟ .

قال : من لا يكذب لسانه و يفجر قلبه ولا يزني فرجه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ (**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم :شيخ زان ، وملك كذاب ،**

وعائل مستكبر) أخرجه مسلم.

قال علي رضي الله عنه :أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة يوم القيامة.

قال عمر رضي الله عنه :أحبكم إلينا ما لم نركم أحسنكم اسما فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقا فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة.

قال النبي ﷺ : (**آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان**) (رواه الشيخان). وفي رواية أخرى: (**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه واحدة منهن ، ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها :إذا حدث كذب ، وإذا أؤتمن خان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر**). (رواه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما).

لذا حين سئل النبي ﷺ :(أيكون المؤمن جبانًا ؟، **قال : نعم** . قيل: أيكون بخيلاً ؟ ، **قال : نعم** . قيل: أيكون كذابًا؟ ، **قال : لا**). (رواه مالك مرسلاً عن صفوان بن سليم).

فالكذب صفة دنيئة يستحيل أن تجدها في إنسان مؤمن لأن الكذب هو لعب بالمشاعر والأحاسيس .

❁ **على سبيل المثال** .. لو دخل رجل المسجد يوم الجمعة وقال: يا قوم أني على سفر وفقدت مالي واكفل أطفال يتامى لا يرعاهم غيري أرجوكم ساعدوني والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه .. لا أقول لك لا تعطيه .. فنحن لنا الظواهر والله تعالى يتولى السرائر ولكن أقول تخيل لو أن هذا الرجل كذاب .. انظر كيف أنه بكذبه أخرج المال من جيوب الناس من خلال اللعب بمشاعرهم فقد حرك شعور الاستعطاف والرحمة واستطاع أن يأخذ ثمن اللحم ولكن هذا اللحم سيصبح عظم ويأتي يوم عظيم ولا يبقى في وجهه مزعة لحم بل نكت سوداء في وجهه تدل على كذبه.

فالدجل والشعوذة المنتشرة وإثارة الشبهات عن طريق الكذب ووسائل الإعلام والجرائد في هذه الأيام ضرب من ضروب اللعب بالمشاعر .. وهذه اللعبة الدنيئة أسلوب من أساليب اليهود فهم يعملون على إثارة الشبهات والعداء ضد المسلمين حتى أن كثير من المسلمين اليوم بالدول الغربية يحسون بالضيق الشديد من المعاملة السيئة التي يلقونها بسبب إسلامهم والمضايقات التي تتعرض له المرأة المحجبة كل ذلك نشأ عن إثارة الشبهات بالكذب فالكذب يدمر النفوس والمشاعر .. وما أمر الدنمارك عنا ببعيد .. فالواجب على الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس أن تعمل على تصحيح هذه الأمور بأن تغير من مشاعرها بأن توجها وجهة إيجابية وتغير من نفسها .

قال تعالى : ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾** ﴾ [الرعد : ١١] .

فلو استطاع المسلم أن يغير مشاعر اليأس والكسل والنقص والتبعية هذه المشاعر التي بذرها الاستعمار في المسلمين .. لو بدلناها بمشاعر العزة والهمة والعمل وتوطين النفس .. فمتي حطمنا هذه المشاعر السلبية وقمنا ببناء مشاعر إيجابية لتغير حالنا ولأصبحت السيادة في مكانها الصحيح .. و يا ليت أمة الإسلام تعمل بحديث الرسول ﷺ : **(لا يكن أحدكم إمعة يقول : أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وأن أساؤا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وأن أساؤا أن تجتنبوا إساءتهم)** .

توجيـــه المشاعـــر

خلق الله عز وجل الجماد وفضل النبات على الجماد بأن بث فيه الروح وفضل الحيوان عليهما بأن جعل فيه الحركة وفضل الإنسان عليهم بأمانة العقل والتكليف ، وفضلنا عن البشر جميعًا بنعمة الإسلام ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء : ٧٠] .

قال تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب : ٧٢].

فالأحاسيس والمشاعر تتدفق في كل ماله روح .. شجرة تذبل أوراقها وتموت السبب : أن الشجرة حزنت على موت صاحبها .. دخل النبي ﷺ حائطا لرجل من الأنصار فإذا جمل ، فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه ، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه فسكت ، فقال من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ ، فجاء فتى من الأنصار ، فقال : لي يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : **(أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها ، فإنه شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه)** رواه أبو داود. أي لا تعطيه الطعام الذي يكفيه وتجهده جهدا كبيرا وهذا ظلم لهذا الحيوان وعدم رحمة به .. فالإنسان المفضل على كل هذه المخلوقات لابد وأن يكون أكثرهم إحساسًا .. فالإنسان حين يفقد الإحساس يكون أشبه بالجماد أي في مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان .. وأعلموا أنه من أصعب الأمور على النفس هي اصطدام المشاعر كمن يموت له عزيز أو يفقد حبيب أو غير ذلك من أنواع اصطدام المشاعر.. وهذا مثال لاصطدام مشاعر الصحابة رضي الله عنهم فقد كانوا يحبون رسول الله ﷺ حبًا شديداً أكثر من أنفسهم وكان يوم فراقه يوم شديد عليهم جميعًا ..يقول أنس:ما رأيت يوما قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ وما رأيت يوما كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ ،

فمشاعر الحزن لفراق خير خلق الله ﷺ جعلت سيدنا عمر رضي الله عنه يقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ توفي وان رسول الله ﷺ ما مات لكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات وو الله ليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات .. أما موقف سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنه .. وأقبل أبو بكر على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشي بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها ثم خرج أبو بكر وعمر يكلم الناس فقال : اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس عليه وتركوا عمر فقال أبو بكر : أما بعد من كان منكم يعبد محمد ﷺ فإن محمد قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)** ﴾ [آل عمران :١٤٤] ،قال ابن عباس رضي الله عنهما : والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما اسمع بشر من الناس إلا يتلوها ، قال ابن المسيب قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعته أبا بكر تلاها فعرفت حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبي ﷺ قد مات. (الرحيق المختوم) .

انظروا ماذا قال الفاروق حين علم وفاة الحبيب عليه أفضل الصلاة والسلام فما قاله ذلك رد فعل طبيعي لاصطدام مشاعره.

وأيضًا من أنواع اصطدام المشاعر كأن تحب شخصًا ما وتخلص له ومن شدة حبك لهذا الشخص لا ترى له عيوب .

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المعايب

ثم يحدث من هذا الشخص ما يدل على العكس .. فتصطدم مشاعر الأول وهو بين أمرين :

إما أن تسقطه هذه الصدمة إلى الهاوية ويتحول الشعور إلى العكس تماما حتى أنه يكره أن يسمع صوته أو حتى سيرته ويزداد كرها وعداوة له (وهذا خلق ذميم) . . **وإما أن يمتص الصدمة ويوقن أن الكمال لله عز وجل وحده وهذا الشخص له أكثر من رد فعل :**

الأول : يكظم غيظه وياخذ قدر حقه دون عفو ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى : ٤٠] .

الثاني : يكظم غيظه ويعفو ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى : ٤٣] .

الثالث : وهو الصنف الكامل الإيمان يكظم ويعفو ويحسن فيقابل الإساءة بالخير والإحسان ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

مثال ذلك أنه حين خاض المنافقون وضعاف الإيمان في عرض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيما يعرف في كتب السيرة (بحادثة الإفك) ونزلت آيات في سورة النور تبرئ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما قيل ثم نزل قوله تعالى :﴿ وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور :٢٢] .

نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد نزول براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . . وقد عرف أن مسطح بن اثاثة كان ممن خاضوا فيه ـ وهو قريب لأبي بكر الصديق ـ وهو من فقراء المهاجرين وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه فآلى (حلف) على نفسه

لا ينفع مسطح بنافعة أبداً .. فنزلت الآية تذكر المؤمنين بأن يعفو ويصفحوا عند المقدرة إذا أساء إليهم احد .. فأنت حين تخطئ وتندم تحب أن يغفر الله لك ويتوب عليك .. فإذا أردت أن يغفر الله تعالى لك كان عليك أن تغفر للناس ولا ترد الإساءة بإساءة بل بالمعروف .

والمشاعر قد توجه وجهة إيجابية فتكون في صالح الأمم والعكس صحيح ، ففي غزوة حنين كان المسلمون عددهم كبير فأغتر المسلمون بكثرتهم حتى قال بعضهم : لن نغلب اليوم من قلة .. وفي أول الغزوة شدت كتائب العدو على المسلمين شدة رجل واحد ، فانشمر المسلمون راجعين وكانت هزيمة منكرة حتى قال أبو سفيان بن حرب وهو حديث العهد بالإسلام : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر (البحر الأحمر) .. بالطبع كان موقف المسلمين موقف ضعف نتيجة لشعور الغرور الذي أثر سلبيا عليهم .. **فماذا كان موقف رسول الله ﷺ ؟ .**

كان موقفه أن انحاز رسول الله ﷺ جهة اليمين وهو يقول : هلموا إلى أيها الناس أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله .. ولم يبق معه في موقفه إلا عدد قليل من المهاجرين وأهل بيته .. وحينئذ ظهرت شجاعة النبي ﷺ التي لا نظير لها فقد طفق يركز بغلته قبل الكفار وهو يقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب .

هذه الكلمات حركت المشاعر المسلمة نحو الإيجابية والصبر والجهاد والقتال لإعلاء كلمة الله تعالى .. فقد وضع الرسول ﷺ بذور لم تكد إلا أن أثمرت في لحظات قليلة بماء الإيمان حين قال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب .. وفي نفس الوقت كانت الكلمة بمثابة قنبلة في صفوف الأعداء تحرك مشاعرهم نحو السلبية والجبن والخوف فالكلمة كانت كالوقود الذي أشعل في مشاعرهـ فحرقها .. هذا نبي ورسول من عند الله ليس بكاذب فموقف المؤمنين ونفوسهم

تقول : لابد وأن ننصره ولابد وأن نقتل من يحاول إيذاء النبي ﷺ أو حتى مجرد التفكير في إيذاءه ﷺ ويجب أن نضحي بآخر نقطة في دمائنا وآخر جزء من أجسادنا فنحن على الحق وهم على الباطل .. ونفوس المشركين تقول : كيف ننتصر على نبي مرسل ورجال كالأسود يحرصون على الموت كما نحرص نحن على الحياة .. فتتحرك مشاعر الكفار نحو الجبن والخوف .. فضعف الباطل في مواجهة أمام قوة الحق فيلوذ المشركون بالفرار خوفا وفزعا.

يقول الشاعر:

ويفوز باللذات كل مغامر ... ويلوذ بالحسرات كل جبان

بعد هذا العرض اليسير تهتز أحاسيسي ومشاعري ونفسي بالبكاء حزنا على حال الأمة الإسلامية .. أمة تعلم أنها على الحق وعلى يقين من ذلك .. ومع ذلك تمتلئ نفوسهم بالمشاعر السلبية ينظرون إلى اتباع الباطل نظرة انبهار وينظرون لأنفسهم نظرة نقص .. وأزداد بكاء حين يسب أحفاد الخنازير وذباب الخنازير من الأوروبيين وغيرهم من الأوغاد من أبناء جلدتنا .. يسبون ويطعنون في سُنَّة معلم البشرية رسول الله ﷺ .. ومشاعر المسلمين سلبية ومحدودة لا قيمة لها لا تتعد الشجب والإدانة والاستنكار .. **أين الهمم العالية ؟.**

✿ أين شباب الإسلام ومشاعرهم نحو الصلاح والإصلاح ؟.

✿ فمتى تتحرك مشاعر المسلمين الإيجابية التي تعمل على توحيد صفوفهم وتجعلهم يد واحدة ويترفعوا عن الجدل والخلاف ؟.

✿ متى تنغرس في نفوسهم الإيجابية والجدية ونفع الإسلام وأهله ؟.

نحن نحتاج إلى جدية .. فالجدية معناها الاجتهاد في الأمر والعمل على تحقيقه والإتقان في عمله والإصرار في تنفيذه والإسراع في إنجازه.

أين نحن من قول الله تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴾ [البقرة:٦٣] ؟ .

أين الأمة من حديث رسول الله ﷺ : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (**المؤمن القوي خير، وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. وفي كلٍّ خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تَعْجَز .. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا، كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله، وما شاء فعل، فإن لَوْ تفتح عمل الشيطان**) رواه مسلم.

فالكلمة لها تأثير سلبي ولها تأثير إيجابي .. لذا كان من أسوء الأمور وأكثرها جرما وفظاعة وفسادا هدم الإنسان وقد يكون هدم الإنسان بالكلمة الخبيثة .. فهدم الإنسان أشد من أي ذنب بل يساوي الشرك لذا نجد من الموبقات السبع (قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق).

وقد يكون قتل النفس بالكلمة وهدم المشاعر والأحاسيس بالكلمة.. رأيت شاب في ريعان شبابه يعاني من مرض نفسي شديد.. فبدأته بالحديث متعرفا عليه فوجدته ذو شخصية حساسة جدا وأنطوائية فأخذت أنقب عن سبب مرضه .. شاب مسكين مازال المستقبل أمامه والشباب هم عماد المجتمع وأمل الغد .. ما الذي جعله بهذه الحالة المؤسفة التي يبكي لها العدو قبل الصديق؟ .. وحين بدأ يخرج لي ما بداخله أتضح أنه بعد أن أنهى دراسته ذهب إلى شركة لكي يعمل بها.. وكان زملائه بالشركة أخلاقهم ذميمة دنيئة فأخذوا يعاملونه باستهزاء واستهتار ويجعلونه أضحوكتهم .. وقد فعلوا ذلك معه لأنه إنسان طيب القلب لا يستطيع رد الإساءة بمثلها .. فنتيجة لهذه المعاملة والكلمات الخبيثة التي يُقذف بها خلال فترات العمل تأثر تأثرا شديدا أصاب نفسه الرقيقة الضعيفة فأُصيب بمرض نفسي فأصبح عقبة كؤد أمام مستقبله الذي كان يخطط له .. وآخر أصيب بصدمة عصبية لأنه ذهب ليخطب فتاة فقابله أهل الفتاة بالسب واللعن كان ذلك سببا في تحطيم نفسه وأصاب الذعر أهله وذويه ، فلو

قابلوه بالترحاب ثم لم يقبلوه زوجًا لكريمتهم لكان ذلك دافعا له نحو الخير . . فملعون ملعون من يهدم إنسان . . فاحرص أخي المسلم على أن تكون كلمتك بناءة في كل وقت وحين . . بكلمة واحدة تنبني المشاعر وتحيا الأمم وبكلمة واحدة تتدمر المشاعر ويهلك الحرث والنسل . . **ألم تدمر العراق بكلمة الإرهاب** ؟ . . ألم **تدخل أفت إلى نور الإسلام بكلمة التوحيد** ؟ . . لذا يجب علينا أن نرفع أيدينا شكرا للرحمن الرحيم حين قال لنا ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴿١٨﴾ ﴾ [ق : ١٨] .

فهو تعليم للمؤمن قيمة الكلمة مهما بلغت ، فالإسلام اهتم بالإنسان وجعل له قيمة أما الحضارات المادية التي تقوم على قوانين وضعية أهملت قيمة الإنسان والإنسانية فأصبح الإنسان لخدمة المادة بل المادة أكثر أهمية منه . . فلا عجب حين تسمع أن امرأة في دولة أوروبية تظهر عورتها أمام شاشات التلفزيون مقابل بضع دولارات في إحدى البرامج الترفيهية . . ولا عجب حين تسمع عن أن قيمة الإنسان بقدر دخله المادي . . فالمرأة الباغية أكثر قيمة من ربة البيت لأنها تأتي بمال أكثر من ربة المنزل فهم يعملون بمبدأ (تملك قرش تساوي قرش) . . فليس عندهم قيم إنسانية ولا قيم أخلاقية تنبع من النفس فإن كانت هناك قيمة أخلاقية، فهي تنبع من خوفهم من القانون فحسب ولو وجدوا فرصة للخروج عليه لخرجوا .

وفي إحدى المواقع أقامت إحدى الدول الأوروبية استطلاع رأي حول أنه لو حدث حريق كبير في متحف به (تمثال أثري وطفل صغير) والوقت لا يسمح إلا بإنقاذ واحد من الاثنين فمن أولي بالإنقاذ ؟ . . . الإجابة أكثر من ٨٠٪ قالوا بإنقاذ التمثال الأثري لأن الطفل يمكن أن يعوض أما التمثال فلا . . ءأضحك أم أبكي ؟ ءأفرح أم أحزن ؟ ، ءأشجع رأي الأغلبية أم الأقلية ؟ .

أرأيتم إلى أي مدى وصل بنا التقدم المادي المتخلف الذي لا يعطي للإنسانية قيمة .. فالتقدم المادي مجرد شعارات للحرية والمساواة والعدل هذه الشعارات البراقة تغطي بها سوءتها حتى لا تعطي الفرصة لأن يرى العالم سوءتها الغليظة .. فالإنسان بنيان الله في الأرض ملعون من يهدمه والقرآن يوضح هذه الحقيقة أمام البشرية ينهى البشر بصفة عامة وينهى أكثر الناس فساداً وإفساداً في الأرض وهم اليهود بصفة خاصة عن هدم الإنسان الذي هو بنيان الله في الأرض ، حين يقول تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

[المائدة : ٣٢] .

وينهى الله سبحانه وتعالى أيضا عن قتل النفس وإنه من أكبر الكبائر الذي إذا فعله أحد متعمداً فجزاؤه جهنم .

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء : ٩٣] .

والسبب ليس لأنه يدمر هذا الشخص فحسب بل يتعداه إلى أقاربه وذويه ويؤثر على مشاعرهم وأحاسيسهم.. لأن من يقتل شخص يدمر مشاعر أمه ومشاعر أخوته وزوجته ويدمر مستقبل ومشاعر أولاده فكأنه قتلهم جميعًا .. فهذا التدمير الداخلي للمشاعر هدم للبنيان الإنساني الذي خلقه الله عز وجل في أحسن تقويم وتدمير للنفس الإنسانية .. لذا وجب علينا أن نوجه كل المشاعر التي وهبنا الله تعالى إياها وجهة إيجابية..فالمشاعر الجميلة والمشاعر السيئة قد تكون سلبية أو إيجابية .. كمثل شخص يحزن لسبب من الأسباب كموت قريب أو فقد حبيب .. هذا الحزن يجعله يتحدى الصعاب لكي يثبت نفسه

فيحقق النجاح .

وآخر يفرح بالفوز على خصمه فيدفعه الفوز إلى الغرور ومن ثم يؤدي الغرور إلى الفشل ..

[فشعور الحزن ليس بجميل) ، (شعور الفرح شعوراً جميل] .

فالأول كان إيجابيا والثاني كان سلبيًا .

فالمشاعر مهما كانت قد تكون دافعا للخير والرقي .. وهذا يتوقف على مدى قرب الإنسان من الله عز وجل أو بعده عنه .. فقد يصاب الإنسان بمصيبة فيصبر ويكون ذلك الأمر دافعا له نحو الخير وقد وضح الحبيب ﷺ ذلك وكيف أن كل شعور وإحساس يتحول لدى المؤمن تلقائيا نحو الإيجابية بشرط ـ أن يكون الإنسان مؤمنا إيمانا صحيحاً ـ .

قال رسول الله ﷺ : (عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضَرَّاءُ صبر فكان خيراً له) [مسلم].

هل أنت مؤمن؟؟؟؟ .